

الإهداء

إلى أخی الذی لم تلده أمی .
إلى أحد رفقاء الدرب العظام .
إلى من كان ولا يزال ناصحاً أميناً لى ولغيرى .
إلى من أتتني منه البشرى تلو البشرى بكل خير .
إلى أحد أعلام المدرسة المحمودية التاريخية .
المؤرخ الفذ والصديق الجميل ... دكتور سند عبدالفتاح
وفاءً و عرفاناً بالجميل فى زمن ندر فيه مثلك .

— الفرق الإسلامية وأثرها في المجتمع الأندلسي من الفتح حتى السقوط (92هـ/711م - 897هـ/1492م) —

obeyikan.com

مقدمة

نشأت الفرق الإسلامية في أواخر عصر الخلفاء الراشدين، وتبلورت أفكارها في العصور التالية، إذ بدأت الفتن والفرقة بين المسلمين في أواخر عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وانتهت بمقتله، وبعد تولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة، اتهمه البعض بأنه مالاقتله عثمان، ولم يقتصر منهم؛ فوقع القتال بين علي وبين الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعاً. ثم وقع قتال بين علي ومعاوية، وانتهى بواقعة التحكيم المعروفة، وبعد التحكيم كانت البداية الفعلية للافتراق في الأمة بظهور الخوارج والشيعة.

برزت الخوارج كأول فرقة وعرفوا بالناصبية أيضاً لمنصبه علياً رضي الله عنه وآله العداة وأما الفرقة الثانية: فهي الشيعة، وقد افترقوا على فرق عدة أقلها غلواً من قال منهم بأن علياً أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر مثل الزيدية.

وظهرت بعد ذلك المعتزلة التي تنادي بالإرادة الإنسانية المطلقة، لأنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان حراً مختاراً وهذه الحرية هي أساس التكليف وعليها يترتب الحساب والعقاب ثم أثيرت مسألة صفات الله وكلامه، ومسألة خلق القرآن، أهو مخلوق أم قديم؟ في العصر الأموي على يد الجهم ابن صفوان والجعد بن درهم، ثم اشتد الأمر في العصر العباسي، وكانت له آثاره البعيدة على العالم الإسلامي بأكمله بما فيه الأندلس.

تعددت الفرق وتشعبت بتأثير كتب الفلسفة اليونانية والهندية التي ترجمت إلى العربية، فأصبحت الفرقة فرقا متعددة، وهكذا انقسمت المعتزلة إلى فرق كثيرة. منها: الواصلية ورائدها واصل بن عطاء، والهدلية ورائدها أبو الهذيل العلاف، وانقسمت الشيعة إلى فرق أقل غلواً وفرق غالية انحرفت كلياً عن طريق الإسلام مثل الإسماعيلية والنصيرية والدروز

وغيرهم . ثم ظهرت الأشاعرة والماتريدية للتصدي للفلاسفة والباطنية والرافضة والمعتزلة، فكان لهم جهدهم المشكور.

انتقل هذا المعتزك العقائدي برمته إلى الأندلس تباعاً ، وكان للمشرق أثره الكبير في ذلك بدءاً من حركة الجيوش الإسلامية المتجة من المشرق إلى الأندلس ، ومروراً بالحراك العلمي المتمثل في رحلات الأندلسيين إلى المشرق ، والذين كانوا يعودون لبلادهم وقد حملوا أفكاراً عن الفرق الإسلامية إما من خلال الشيوخ المشاركة أو من خلال المصنفات التي وقفوا عليها بالمشرق وحملوها إلى الأندلس ، وراح كل فرد يتحدث عما تأثر به حسب عقليته فمنهم من حمل فكر فرقة بأكملها كابن مسرة الأب المعتزلي والذي ترك أثراً كبيراً على ابنه محمد بن عبدالله بن مسرة الفيلسوف الشهير الذي كان له أثر كبير بالأندلس في عصر الخلافة ، ومنهم من تأثر بها في مسألة كالمندبر بن سعيد البلوطي قاضي القضاة في عصر عبدالرحمن الناصر ، ومنهم من خلط بين مذهبه الفقهي وبين معتقده الجديد الذي ورثه فصار يلقب بالمالكي الأشعري كأبي الوليد الباجي وابن سهل الجياني والقاضي ابن العربي .

الجدير بالذكر أنه على قدر مخاطر الفرق الإسلامية فقد لعبت دوراً مهماً في تنوير العقلية الإسلامية بالأندلس من خلال الفعل ورد الفعل ، إذ تعددت المناظرات والردود بين أتباع هذه الفرق وبين معارضيها من فقهاء أهل السنة لا سيما فقهاء المالكية الذين كانت لهم حظوة وسطوة في المجتمع الأندلسي ، مما كان له أثره الكبير في تضلع الكثير من الفقهاء السنة لمواجهة المخاطر العقدية للفرق الإسلامية ، والتي واجه أتباعها اتهامات بالزندقة والمروق من الدين ، فضلاً عن التنكيب والاضطهاد من قبل حكام الأندلس .

أما عن أسباب ولوج هذا الموضوع واختياره كدراسة علمية فيمكن أن نحصرها في النقاط التالية :

- 1- إبراز الأثر الفكري للفرق الإسلامية في المجتمع الأندلسي من خلال حوارات أتباعها مع مخالفينهم وكذا الردود التي وقعت بينهم وبين المالكية وغيرهم .
- 2- تحقيق التنوع الثقافي من خلال طرح أفكار جديدة فقهيا وعقديا تضاف للتراث المتعارف عليه عند المالكية وغيرهم من أهل السنة .
- 3- إظهار الدور السياسي لأتباع الفرق الإسلامية والذي تمثل في بعض الأفراد التي نجحت في تكوين ما يمكن أن نصلح على تسميته بالكيانات ، وموقف النظام الحاكم تجاه ذلك .

4- عدم تعرض الدارسين لهذا الموضوع من قبل باستثناء بحثين لأحد أساتذتنا الكبار - وهو العلامة الدكتور محمود مكي رحمه الله - أحدهما حول التشيع في الأندلس حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ، والثاني عن الخوارج في الأندلس ، ومن ثم فالمكتبة العربية في حاجة لدراسة تفصيلية عن الفرق الإسلامية في الأندلس ، لا سيما بعد أن صدر لنا عدة كتب عن دار الآفاق العربية تعالج موضوعات فكرية وحضارية ومنها كتابنا " ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي " ، وكتابنا " الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين " ، وكتابنا " تاريخ أهل الظاهر " ، فكان لزاما علينا بعد صدور هذه الكتب وشروعنا في موسوعتين إحداهما عن تاريخ الأندلس والثانية عن تاريخ المغرب أن نخص الفرق الإسلامية وأثرها في المجتمع الأندلسي بدراسة مفصلة ، وذلك في إطار مشروعنا الفكري الذي نهدف من ورائه إلى تغطية تاريخ الأندلس تغطية حضارية متكاملة .

5- كان للبحث الذي ألقيناه بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية ضمن الموسم الثقافي لسيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط من العام 2014م . تحت عنوان : " الفرق الإسلامية بالأندلس في عصر الخلافة " أثر كبير في توجيهي لضرورة تناول الموضوع بصورة

أرحب لا سيما بعد أن حصلت على منحة تفرغ من المجلس الأعلى للثقافة لدراسة هذا الموضوع عبر تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط.

وقد عالجت هذا الموضوع عبر تاريخ الأندلس بدءاً من الفتح الإسلامي في العام 92هـ ومروراً بالعديد من العصور حيث عصر الولاة فعصر الإمارة فعصر الخلافة فعصر ملوك الطوائف فعصر المرابطين ثم الموحيدين ثم دولة بنى نصر والتي بسقوطها سقطت الدولة الإسلامية في الأندلس .

وتكمن مشكلة هذه الدراسة في أن الحديث عن الفرق الإسلامية يتطلب جهداً كبيراً ممن يتتبع لمعالجة هذه الموضوعات لا سيما وأن العديد من الفرق الإسلامية لا تزال معلوماتنا عنها شبه مضيبة إن لم تكن مضية بالفعل ، فقد حرصت بعض الفرق على أن تنغلق على نفسها ولا تفتش أسرارها وأفكارها إلا لأتباعها ، كما أن مخالفيها لم يكونوا على دراية كاملة بأفكارهم ، ومن ثم يضطر من يخوض في هذه الموضوعات أن يكون على دراية قدر استطاعته بما كان عليه أتباع هذه الفرق ، وبما نقل خطأ عنهم من قبل مخالفيهم . كما أن هذه الموضوعات تحتاج لدراسة شبه كاملة بفقهاء هذه الفرق وفقه مخالفيها للتعرف على أثرها السياسي والفكري في المجتمع الأندلسي إذ الفقه هو كرش المجتمع ، ومن أراد أن ينتقل من المصادر التقليدية لتدوين التاريخ فعليه أن يعكف على كتب النوازل ومصنفات الفقهاء التي تحوى مادة ضافية بخصوص هذا الشأن ، ولا يخفى على أحد صعوبة هذا الأمر الذى يحتاج من الجهد والوقت الكثير للوقوف على المعالم الفقهية لكل فرقة ومذهب طيلة مرحلة الدراسة .

ويرتبط بهذه المشكلة مشكلة أخرى وهى محاولة إنزال النازلة الفقهية التى نتعامل معها على الواقع التاريخي ، ولكي يتسنى لنا فهم ذلك اضطررنا للوقوف على تاريخ وحضارة الفترة التى نعالج فيها هذا الموضوع ، ليسهل علينا مناقشة النازلة والتعرف على أسبابها من خلال الواقع التاريخي ، ونتائجها ، هل بالسلب أم بالإيجاب .

ومن أوجه المشكلات أن معظم علماء وفقهاء الفترة موضوع الدراسة كانوا مالكيين - إذ من المتعارف عليه أن الأندلس دانت طيلة تاريخها للمذهب المالكي باستثناء بضعة عقود بعد الفتح الإسلامي كانت فيها أوزاعية ، وعصر الدولة الموحدية التي كانت ظاهرية المذهب -، ومعروف عن المذهب المالكي جموده بعض الشيء في التعامل مع ما يخالفه من مذاهب أهل السنة ، فكيف بالمخالفين له من غير أهل السنة؟! فهذا يلقي بالعبء الأكبر على من يلج مثل هذه الموضوعات كي يصل لحقيقة الحكم الصحيح بشأن المخالفين ، وهل كانت المالكية محقة في موقفها من أتباع الفرق الإسلامية أم لا ؟ .

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على منهج استقرائي تحليلي ، يعتمد إلى تحليل الحدث السياسي والنازلة الفقهية وردها إلى أصولها ودوافعها ، كما تم الاستعانة بالمنهج النقدي في مناقشة الروايات التاريخية المختلفة والآراء الفقهية والعقدية ، لترجيح رواية على أخرى ، وتغليب رأى على آخر اعتماداً على الأصول والمصادر التي توضح ذلك .

هذا وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة ، وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

تناول التمهيد : طرق دخول الشيعة والخوارج إلى الأندلس

وعالج الفصل الأول وعنوانه : الفرق الإسلامية نشأتها وتطورها بالأندلس ؛ عدة

مباحث هي : الشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة ، والأشعرية ، والمرجئة .

وانتظم الفصل الثاني وعنوانه : الآثار الفكرية للفرق الإسلامية ؛ عدة مباحث هي :

المفاضلة بين الصحابة ، والحرب بين علي ومعاوية ، وعقيدة المهدي المنتظر ، ومآثم الحسين "

الحسينية " ، وتأثر الثقافة والأدب الأندلسي بالفكر الشيعي ، والإنتاج الفكري والثقافي

لأتباع الفرق الإسلامية

واهتم الفصل الثالث وعنوانه : الأثر السياسي للفرق الإسلامية في المجتمع الأندلسي ؛

بتفصيل الحديث عن :ثورات الشيعة والخوارج ، والتحالف بين شيعة المغرب والأندلس

— الفرق الإسلامية وأثرها في المجتمع الأندلسي من الفتح حتى السقوط (92هـ/711م - 897هـ/1492م) —

لإسقاط الخلافة الأموية ، وقيام دولة للشيعة بالأندلس ، ووصول الخوارج الأباضية النكار للحكم في الأندلس ، ومحاولات المعتزلة الإطاحة بالخلافة .

وجاء الفصل الرابع وعنوانه : موقف أهل السنة بالأندلس من الفرق الإسلامية ؛ في عدة مباحث هي :موقف أهل السنة من الشيعة وطقوسهم ، وموقفهم من الخوارج ، وموقفهم من المعتزلة ، وموقفهم من الأشعرية .
واختتمت الدراسة بخاتمة تناولت أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها.

وأخيراً أمل أن أكون قد قدمت شيئاً مفيداً بشأن هذا الموضوع الملغز ، وأتمنى أن ينال هذا العمل إعجاب الباحثين والقراء والنخب المثقفة المتابعة بنهم لكل ما يصدر عن الأندلس من مصنفات ودراسات وأبحاث ، وأن يكون لبنة جديدة تضاف إلى المكتبة العربية والإسلامية بعامة ، وإلى المكتبة الأندلسية خاصة ، والله تعالى أسأله التوفيق والسداد في سائر أعمالنا .. إنه ولى ذلك والقادر عليه .

دكتور

عبدالباقي السيد عبدالهادي